الفصـــل العاشـــر

التحديات العملية للمفهوم القرآنى لوحدة الأمة الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً: تحديات وحدة الأمة الإسلامية

انعقد فى مكة المكرمة ـ وفى رحاب البيت الحرام ـ الملتقى الأول لوحدة الأمة الإسلامية، الذى قرر فى نهاية أعماله خلال الأيام الثلاثة الأولى من شهر أبريل ٢٠٠٦ أن يعقد هذا الملتقى مرة كل ثلاث سنوات، ويتولى مجلس تنفيذى متابعة ما يصدره الملتقى من قرارات، وذلك فى إطار رابطة العالم الإسلامى. ولا شك أن التقاء علماء المسلمين وغيرتهم على واقع الأمة الإسلامية أمر هام، ولكن الأهم منه أن يلتقى هؤلاء العلماء على حلول عملية للخروج من مأزق التشتت والتشرذم فى الفكر والرؤية والعمل، مما أشاع الفتنة بين شبابنا الذى افتقد المؤشر الصحيح والقدوة الحقيقية. وقد شخصت أبحاث هذا الملتقى صورة الأمة الإسلامية كما جسدها القرآن الكريم وأبدعتها السُّنة النبوية المطهرة، فهى صورة مثالية **لجسد واحد يتداعى بالسهر والحمى كل أعضائه إذا اشتكى منه عضو واحد**، وهى أمة **كالبنيان المرصوص يشد بعضها بعضا**، كما يسقط البنيان إذا سقط حجر واحد، وهى أمة، كما وصفها القرآن الكريم، **تتراحم فيما بينها**، ولكنها تكون أشد بأسًا على غيرها إذا ناصب هذا الغير هذه الأمة العداء، أو اعتدى على مقدساتها. وإذا كانت صورة الأمة الإسلامية فى القرآن والسُّنة صورة مثالية، فإن هذه الصورة تفترق تمامًا عن الواقع المعاصر. وربما أصبح هذا الواقع هو ما حذر منه الرسول الكريم ﷺ فى حديث بالغ الدلالة، حذر فيه الرسول الكريم **من أن هذه الأمة سيأتى عليها زمن تتكالب عليها فيه الأمم الأخرى كما تتكالب الأكلة على قصعتها، وهم حينئذ كثرة وليسوا قلة، ولكن هذه الكثرة تفتقر إلى الفاعلية، ويكون شأنها كشأن غثاء السيل بعد أن ينزع الله الخوف والمهابة لهذه الأمة من قلوب أعدائها، فيستخفون بها**. ولكن ما يحدث لها يكون سببه الرئيس هو انصراف هذه الأمة نفسها إلى الدنيا، والانصراف عن الآخرة، وهى حالة عبر عنها الحديث الشريف تعبيرًا دقيقًا بليغًا، **بأن الأمة سوف تصاب فى هذا الزمن بالوَهْن، وهو ليس كالوَهَن، وهو النصب والتعب، الذى يصيب الإنسان**. وليس معنى الحديث أن هذا الزمن هو ما نحن فيه، أو أن زمن الضعف والانحسار هو قدر مكتوب، ولكنه تحذير من رسول

الله ﷺ من أن الأمة الإسلامية إذا انصرفت عن الحق فيما بينها وفى سلوكها، فإنها تصبح مأكلة للأمم الأخرى. ومعنى الحديث الشريف أن الاستخفاف بالأمة الإسلامية يبدأ بمرض فى داخلها. ولهذا السبب، فإن دراسة أحوال هذه الأمة، والأسباب التى أدت إلى هذه الحالة هى المخرج الصحيح مما تعانيه. وقد قدم الملتقى عددًا من الحلول فى المجالات الاقتصادية وغيرها، ولكننى أعتقد أننا نحتاج إلى حلول أكثر نجاعة. فلا يكفى أن نطالب بإنشاء سوق إسلامية مشتركة دون أن ندرك أن اقتصاد الدول الإسلامية أصبح جزءًا من منظومات عالمية، وهذا الاقتصاد يعتمد أساسًا على المواد الأولية، وأن النظام الاقتصادى الدولى يكرس عدم التوازن والعدل بين حقوق الدول النامية وحقوق الدول الصناعية؛ ولذلك فإن علماء الأمة مطالبون بالبحث الجدى فى الطريقة التى يمكن بها تحرير الاقتصاد فى الدول الإسلامية من الهيمنة التى يعانيها فى جميع المجالات، وأن تصبح موارد الأمة خالصة لمشروعاتها التنموية.

كذلك يجب على علماء الأمة أن يبحثوا فى الإشكاليات الفقهية التى يختلط مصطلح الأمة الإسلامية بها مع غيرها من المصطلحات. ويبدو أن حل هذه المشكلة الفقهية يعتمد على التفسير الميسور للمفاهيم القرآنية، ولا بد أن يدرك هؤلاء العلماء أن هذه الأمة تعيش بين أمم أخرى، وأنهم جميعًا أعضاء فى المجتمع الدولى، ولا بد أن يفسروا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] تفسيرًا صحيحًا، حتى تعنى أنها خير أمة بما أتاح الله لها من سبيل الخير والرشاد، فإن عملت بها استحقت أن تكون خير أمة، وإن قصرت فى ذلك فإن الله يفاضل بين الأمم والأفراد بأعمالهم، ولم يكتب على أمم معينة وضعًا دائمًا، وإنما هو يرشدها حتى يختبر إيمانها. وهذا ينطبق على مقولة «شعب الله المختار»، وعلى الأمة الإسلامية، وغيرها من الأمم التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم. كذلك، فإن حل هذه الإشكاليات الفقهية يعتمد اعتمادًا كبيرًا على التفسير المستنير، كعلاقة الإسلام بغيره من الأديان الأخرى. فقد سمعت فى المؤتمر من يقول بما يمكن أن يؤدى إلى التصادم والصراع، وتنكب طريق الضلال السياسى، وذلك بالإصرار على أن الأمة الإسلامية أرقى من غيرها بنص القرآن الكريم، حتى لو جلست فى الطرقات، أو استجدت غيرها من الأمم، وهذا تفسير معيب. كذلك، فإن تعدد الوصف الشرعى لبعض التصرفات، مثل القتال إلى جانب المقاومة، أو مواجهة نظام الحكم داخل الدولة أدى إلى سُحُب من الغموض

والإبهام حول شبابنا، ولهذا السبب، فإن حرص الشباب على التأسى بتوجيهات علماء المسلمين لا يجب أن يصاب بالإحباط أو بالانصراف عن هؤلاء العلماء، ولهذا السبب أيضًا، فإن العلماء هم عنوان الحقيقة، التى تتنوع طرق الوصول إليها، ولا يجب لأن يكون اختلاف اجتهادهم سببًا فى تمزيق شمل الأمة. والطريق إلى ذلك هو العلم الصافى النقى، الذى لا يقصد إلا وجه الله ومصالح الأمة، والتسامح فيما يبديه غيرهم من آراء، والسير على منهج علماء السلف الصالح، الذين كانوا يؤكدون ضرورة التعاون على ما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه، وأن يتعلموا أدب الاختلاف فى تراثهم المجيد، وأن يكونوا خير ناصح للحاكم فى غير خوف أو طمع، فإذا صلح الراعى بنصحهم صلحت الرعية، كما يجمع الفقهاء.

وقد رأيت أن مفهوم الأمة الإسلامية، كما رسمه القرآن الكريم، والسُّنة النبوية المطهرة يواجه تحديات على الأرض فى عالمنا المعاصر. فكيف يمكن أن نوفق بين انتماء المسلم إلى أمة واحدة، وأن نحدد حدود الولاء لها والتزاماته إزاءها، وبين حقوق المواطنة والانتماء إلى دولة إسلامية قد يختلف موقفها عن مواقف غيرها، ما دامت فكرة الأمة الإسلامية فكرة معنوية.

ويجب أن يبحث العلماء فى العلاقة بين الأمة الإسلامية وبين غيرها من الأمم. فالمسلم فى إحدى الدول الأوروبية ينتمى ويخلص إلى الأمة التى يعيش فيها، كما أنه مطالب بالإخلاص إلى الأمة الإسلامية، وهو ما حدث فى بريطانيا ـ مثلاً ـ بمناسبة الغزو الأمريكى للعراق، فقد شعر المسلم البريطانى والأمريكى بأن هناك تناقضًا بين ولائه لبريطانيا أو الولايات المتحدة، اللتين تقومان بالغزو، وبين العراق الذى تم غزوه والاعتداء عليه ظلمًا وعدوانًا، وأدى هذا التمزق فى المواقف، مع غياب اجتهادات علماء المسلمين، إلى أن بعض أبناء الجالية الإسلامية ذهبوا إلى العراق للانضمام إلى المقاومة العراقية ـ من منطلق إسلامى ـ ضد الجيوش البريطانية، فحكمت عليهم المحاكم البريطانية بالخيانة العظمى، واعتبر بعضهم أن هذا الحكم حكم دنيوى، وهو جزء من الثمن الذى يدفعه المسلم فى سبيل نصرة أمته؛ ولذلك، فإن علماء الأمة يجب أن يعالجوا هذه القضايا، وهذا هو السبب فى أن معالجة القضايا الشائكة، وما تنطوى عليه من مخاطر توجب توحيد الفتاوى بشأنها، كما طالب بذلك خادم الحرمين

الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز فى كلمته أمام القمة الإسلامية الاستثنائية فى مكة المكرمة فى الأسبوع الأول من ديسمبر عام ٢٠٠٥ .

ومن القضايا التى يجب ألا يتوقف عندها علماء المسلمين طويلاً هى العلاقة بين الإسلام والديمقراطية، إذا فُهم الإسلام على أنه تنظيم للمجتمع وطريق لسعادته، بصرف النظر عن الأشكال والإجراءات والأساليب التى تحقق ذلك. ورأيت أنه على علماء المسلمين أن يوثقوا العلاقة بين العروبة والإسلام، فقد سمعت بعضهم يتبنى خطابًا لا يتفق مع مصالح المجتمع العربى والإسلامى، فيردد مقولات جوفاء، وهى أن الفكر القومى ـ وهو فكر علمانى بطبيعته كما يقولون ـ لا يتفق مع الإسلام، وخلص هؤلاء إلى أنه لا التقاء بين العروبة والإسلام. وقد يكون هذا النفر من العلماء قد وقع أسيرًا لبعض المفاهيم، أو توقف عند فصل واحد من فصول استخدام الدين لخدمة الأطروحات السياسية، مثلما أوعز الرئيس السادات إلى الأزهر بأن يؤيده فى صلحه مع إسرائيل، فأفتى شيخ الأزهر بأن اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل تشبه صلح الحديبية بين رسولنا الكريم، وبين كفار قريش؛ ولهذا السبب بالذات، فقد ركزت على تجنب استخدام الدين فى أغراض سياسية متغيرة، وإنما يجب استخدامه فى التربية الصحيحة، وتنشئة المسلم تنشئة راقية.

وأخيرًا، فإن القضايا التى تنتظر اجتهاد علماء المسلمين تتغير بتغير الليل والنهار؛ ولذلك رأيت أن ينشأ مركز للدراسات الإسلامية ينشغل بهذه القضايا، فضلاً عما انتهى عليه الملتقى من دراسة اقتراح بإنشاء هيئة كبرى للإغاثة الإسلامية، وتحرير العمل الخيرى الإسلامى من المؤامرات السياسية، ومن القيود التى استحدثها بعض من استهدف الإسلام وأهله فى العقد الأخير.

ثانيًا: الأمة الإسلامية وتحديات الواقع الدولى المعاصر

رسم القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة صورة لنموذج الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، وهذا التميز يرجع إلى مقدار علمها واجتهادها عندما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتوفرت لهذه الأمة ضمانات النجاح فى هذه المهمة بتوجيهات نبوية مفصلة وقوائم إسناد قرآنية متينة لا تضل الأمة بعد ذلك عن نيل

غاياتها. وأوضح القرآن والسُّنة أن هذه الأمة تفخر بمجتمع كالبنيان الواحد المرصوص، والجسد الواحد الذى يتساند ويتضامن أعضاؤه. ويقصد بالأمة الإسلامية مجموع المسلمين الأفراد أيّا كان مكان وجودهم على الأرض، وأن انتشارهم فى بقاع غير إسلامية يرفعون فيها راية التوحيد، ويظهرون فيها عالمية الدين وحيوية الدعوة هو من تدبير الله، وسببًا فى انتشار أبناء الأمة فى ربوع المعمورة. وهذا الانتشار، فضلاً عن تطور البيئات الاجتماعية والثقافية، وتسارع التطورات التكنولوجية تفرض قضايا جديدة وتحديات متجددة، مما يفرض تحديات وواجبات على القيادات الإسلامية كى تدير شئون المسلمين فى قضايا دينهم، وتنصح أمور المسلمين بما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم.

ولا شك أن العالم الإسلامى ـ وهو المصطلح الذى يمكن أن يقتصر فى نطاق مفهوم الأمة على الدول الإسلامية فى إطار العلاقات الدولية، أو الأمة الإسلامية فى هذا السياق ـ يتعرض لهجمة متعمدة تشبه الهجمة الصليبية التى استهدفته فى القرن الخامس عشر الميلادى، والتى أعقبت موجات من الهجوم على الشرق الإسلامى طوال ستة قرون (من التاسع إلى الخامس عشر)، ولكن الهجمة فى القرن الخامس عشر اقترنت ببدعة وذريعة جديدة، وهى الكشوف الجغرافية، فاقترن الاستعمار الأوروبى بهذه الكشوف، ونال العالم الإسلامى من هذه الهجمة الكثير، حيث خلفت الاستعمار الغربى الذى لم يرحل عن معظم عالمنا الإسلامى إلا منذ سنوات قليلة.

وهذه الهجمة الجديدة التى أعقبت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ تميزت بالتركيز والشمول، فهى تتوجه إلى العالم الإسلامى فى عقيدته وأصول دينه ورموزه وشخص نبيه الكريم، ﷺ، بعد أن استهانت ببقية أنبياء الله ورسله، فضلاً عن استهدافها للحضارة والتاريخ الحاضر والأوطان والثروات، تارة تحت شعار «مكافحة الإرهاب» بعد أن قرنت الإرهاب بالإسلام عبر عقود من العمل الجاد لتوثيق هذا الربط، وتارة أخرى تحت ذريعة «فك الارتباط» بين الإسلام والاستبداد، وإشاعة النظم الديمقراطية التى تحرر الإنسان من الكبت والقهر السياسى، فتنعدم لديه نوازع الإرهاب، كما تعظم عنده الحاجة إلى المحافظة على مكتسبات الآخرين. وكان العنوان الأكبر الذى يحتوى كل هذه المقاصد هو «حركة الإصلاح والتجديد»، وبلغ الأمر فى

التجديد أحيانًا إلى اقتلاع الإسلام نفسه عبر التشكيك فى كل مقدساته وينابيعه، وعبر الربط الملفق بين كل سلبيات حياتنا وبين الإسلام، وتجاهلت هذه المؤامرة دور الإسلام فى نقل الإنسان من حياة الجاهلية العامة إلى حياة الإنسانية الراقية التى يتوحد فيها الجميع فى عبودية الخالق، بعد أن أنهى عبودية المخلوق بصوره العديدة، وبعد أن حصن الأرزاق والأقدار عند خالق الكون والمهيمن على شئونه. وبذلك تجاهلت هذه المؤامرة قرونًا عديدة من حضارة المسلمين، ونماذج مشرقة من تاريخهم يوم كانت أوروبا تسبح فى ظلمات الجهل والضلال طوال العصور الوسطى.

فى ضوء هذه الهجمة والقفزات السياسية والتكنولوجية، وما طرحته العولمة من تحديات إضافية، فإن واجب العلماء من كل التخصصات فى ربوع العالم الإسلامى البحث عن كيفية المحافظة على نموذج الأمة فى القرآن والسُّنة من كل صور التشويش، ثم مقارنة هذا النموذج مع الواقع الذى يعيشه الناس. وقد حاول البعض أحيانًا، لكن محاولة أظهرت فشلاً وآتت نتائج سلبية أحيانًا. وعلى سبيل المثال، عندما بدأ الغرب يتحدث عن حقوق الإنسان، انبرى عدد من المؤسسات الإسلامية وانطلقت الكتابات والمقررات الدراسية والمؤلفات والرسائل الجامعية تفاخر الغرب بأن فى القرآن والسُّنة أفضل مما يقولون عن حقوق الإنسان، الذى كرمه الله، واستدعت الدراسات الأحكام والنصوص الدالة على تميز ومكانة بنى آدم، فانتشرت الدراسات المقارنة فى هذا الباب. ورغم أن هذه الدراسات كانت تقارن بين نصوص دينية فى الإسلام وواقع المجتمع الغربى، إلا أنها أفادت فى بيان موقف الإسلام من هذه القضية ومن غيرها، ولعلها تساهم أيضًا فى تطوير واقع الدول الإسلامية.

ولكن التحديات الجديدة متعددة، وتفرض علينا المزيد من التبصر والبحث. ولعل أهم هذه التحديات هى كيفية التوفيق العملى والفكرى بين مفهوم الأمة القرآنى ومفهوم الأمة فى الأدبيات القانونية والسياسية، وكذلك فى الواقع السوسيولچى والسياسى المعاصر يمكن فى هذا الصدد أن نشير إلى أن مفهوم الأمة الإسلامية يقوم على وحدة الدين مع تنوع الأعراق والثقافات والدول والوحدات السياسية. وهذا المفهوم الذى فصله القرآن والسُّنة قُدم إلى جانب أحكام أخرى، أهمها أن الله خلق بنى آدم وأبدع فى تنوعهم أجناسًا وقبائل وألوانًا شتى، لا لكى يتنازعوا أو يتفاضلوا على

هذه الأسس ـ كما يحدث فى عالم الواقع ـ ولكن ليكون ذلك دليلاً على طلاقة القدرة فى الخلق المتنوع والبعد عن النمطية، ولكى يسعوا جميعًا إلى التعارف والتعاون والتقارب، سواء كانوا فى إطار أمة واحدة أو فى أمم شتى ينتمون جميعًا إلى آدم، وهو من تراب، كما يتفاضلون جميعًا عند الله بمعيار واحد هو التقوى والعمل الصالح.

وأعتقد أن مفهوم الأمة فى القرآن يجب أن يحظى بمزيد من الدراسات المتعمقة؛ لأنه لو كان الناس يقسمون إلى أمم على أساس أديانهم، فإن ما ينطبق على الأمة الإسلامية ينطبق على غيرها من الأمم المسيحية واليهودية، ولكن نظرًا لأن الإسلام والمسيحية واليهودية دين واحد، ولم يرد فى القرآن تجزئة الدين، فإن الإسلام فى جوهره هو ما جاء عليه كل الأنبياء والرسل، قبل أن تأتى الرسالة الإسلامية المحددة لآخر رسله، وخاتم أنبيائه، وآخر صلة بين إضاءات السماء واستقبال الأرض محمدًا ﷺ. فمفهوم الأمة الإسلامية فى القرآن الكريم مفتوح لكل من يستجيب لرسالة الإسلام العالمية التى تخاطب الإنسان وبنى آدم والنفس والمؤمنين بإطلاق.

تضارب الولاءات فى مفهوم الأمة الإسلامية

فإذا كان المسلم عضوًا فى الأمة الإسلامية، فإنه لا بد أن يدين لهذه الأمة بالولاء والانتماء، فكيف نترجم هذا الولاء والانتماء فى عصر يقسم المجتمع الدولى فيه على أساس الدول وليس الأديان؟ وكيف نفسر مفهوم التضامن ومجالاته، بحيث لا يتضارب مع قواطع أخرى؟ وهل يظل هذا المفهوم مطلقًا يرتب النتائج المطلقة فى عالم نسبى وواقع متربص؟

فالدول الإسلامية تسهم مع بقية الدول فى المجتمع الدولى فى صناعة القانون الدولى، فكيف يتمايز عطاء وسلوك الدول الإسلامية عن غيرها فى صناعة هذا القانون؟ صحيح أن التقاليد الإسلامية كانت أسبق من الكثير من قواعد القانون الدولى المعاصر، وخاصة فى المجال الإنسانى وفى الصراعات المسلحة، ولكن هل يختلف سلوك الدول الإسلامية الحالى عن التقاليد الإسلامية أم يتطابق معها؟ وإذا كان الدين مرجعية فى هذا الباب، فكيف تلتزم الدول الإسلامية بالدين على مستوى السلوك الدولى فى عالم يعتبر الدين نزعة عنصرية، وخاصة الإسلام، فى الوقت الذى تحكم

بعض الدول الأوروبية فيه أحزاب مسيحية، ولا يجدون ضيراً فى ذلك، بل ويغزو بوش العراق بادعاء أنه مبعوث السماء والعناية الإلهية، وفى وقت جعل الغرب الاعتراف بالهوية الإسلامية ضرباً من المخاطرة بعد أن ألصق تهمة الإرهاب بأى اسم إسلامى.

الواقع أن السبب الرئيس فى تربص الغرب بالإسلام والمسلمين هو حالة الضعف غير المبرر، والهوان الذى وصل إليه الدول الإسلامية بعد أن فارقت فى حياتها صحيح الدين، فأصبح سلوكها الدولى يتسم بالتردد وعدم الشعور بالاعتزاز لانتسابها لهذا الدين، فأصبحت صورة الإسلام والمسلمين عند الغرب لأسباب كثيرة من دوافع التربص بهذه الصورة والنيل منها؛ ولذلك، فإن المعالجة للصورة المسيئة للرسول الكريم يرجع إلى الاختلاف فى تقييم نظرة الغرب إلينا، وهو عين السبب الذى يجعل الاختلاف فى النظر إلى الحوار مع الغرب هو القاعدة، فيقعدنا ذلك عن العمل بدلاً من أن نتفق على تشخيص واحد وعلاج متنوع؛ لأن اختلاف التشخيص يجعل العلاج مجازفة خطيرة.

الأمة الإسلامية والأمة العربية

كان الصراع ـ ولا يزال نسبيًا ـ محتدمًا بين أبناء الأمة الواحدة على مفاهيم متباينة فرقت شملهم عهداً طويلاً. فقد رفض الإسلاميون وبعض العلماء أى مفهوم عرقى أو ثقافى يناقض مفهوم الأمة الإسلامية الذى يجب أن يسود على غيره من التقسيمات والولاءات بدون النظر إلى واقع لا يؤيد هذه النظرة المثالية عند البعض، والجامدة عند البعض الآخر، وغير الواقعية عند البعض الثالث، فرفضوا الاعتراف بالفكر القومى والعروبة. وفى مقابل ذلك، تمسك القوميون بأن العروبة تجمع المسلمين وغيرهم؛ ولذلك يجب أن تكون الدعوة القومية دعوة علمانية. وبالغ هؤلاء وهؤلاء فى الخصومة فيما بينهم، ولكن بعد ما ينيف على ثلاثة عقود، ومع ظهور عالم جديد يناصب الجميع العداء، ويستهدف كل الرموز الإسلامية والقومية، ويعمل بانتظام على تقويضها جميعًا، بدأت عملية المراجعة العقلية فى نموذجين للفكر الإسلامى والفكر القومى، وهما المملكة العربية السعودية وسوريا، حيث أكد الرئيس بشار الأسد فى

يناير ٢٠٠٦ أن العروبة هى وعاء الإسلام، والعلاقة بينهما علاقة تفاعل وحماية متبادلة، وهو نفس ما أكده الأمير سعود الفيصل فى كلمة شهيرة عام ١٩٨٥؛ ولذلك، فإن المفكرين المسلمين يجب أن يؤصلوا للعلاقة الحميمة بين العروبة والإسلام. وإن كان بعض العلماء مثل د. وهبة الزحيلى لا يزال يتبنى النظرية التقليدية التى تؤدى إلى رفض كل ما ليس إسلاميًا، وهو ما يسعد أصحاب نظريات التمزيق الذين رددوا ثنائيات متعددة، عربية مقابل إسلامية، عربية مقابل إفريقية، إفريقية مقابل إسلامية، وغيرها من المصطلحات والثنائيات.

الأمة الإسلامية والولاء للدولة

هل يتناقض الولاء والانتماء لأمة إسلامية واحدة مع الولاء للأوطان والدولة القطرية؟ لا يزال الانقسام قائمًا بين أنصار فكر الأمة الإسلامية الجامدة، وبين من يرون الولاء للدولة وحدها، وهى حالة واقعية، بينما الأمة مفهوم نظرى. ولكن هناك من لا يرى تمايزًا بين الأمة الإسلامية والدولة، وأن الولاء لهما معًا واجب، ولكن كل هذه الآراء تحتاج إلى تأصيل وتعميق، ولا ضرر أن تتغير هذه الآراء مع تغير المعطيات فى كل حالة على حدة، ولا يلزم أن تكون هناك نظرية عامة حاكمة لكل صور العلاقة بين الأمة الإسلامية والدولة. وقد حدث خلط كبير بين مفهوم الأمة الإسلامية ومفهوم الأمة فى الفقه السياسى والقانونى، وعلاقة كلٍّ من الأمة والدولة فى الحالتين؛ ولذلك يجب التعمق فى الدراسة والتبصير فى الاستنتاج على أساس أن العلم غائى، أى أن الهدف من الدراسة هو التعرف على معوقات الانسجام بين الأمة الإسلامية وغيرها من المفاهيم المعاصرة.

الأمة الإسلامية والأمم الأوروبية (أمم مهاجرة)

تحتاج الأقليات الإسلامية ـ فى الغرب بوجه خاص ـ إلى عناية خاصة وفكر منفتح ورؤية عملية تجعل المسلم فى المجتمع الغربى كما قال ولى عهد بريطانيا: «عضوًا كاملاً فى المجتمع الغربى، ويحتفظ فى نفس الوقت بهويته الإسلامية».

أعتقد أن علماء الأمة يجب أن يولوا هذه المعادلة ما تستحقه من اهتمام، وما يتطلبه التوفيق من الجانبين من جهد حقيقى، والبحث عن حلول عملية تحافظ على الولاء للأمة الغربية التى يعيش فيها وهو عضو فاعل فيها، وعلى ولائه للأمة الإسلامية. ولا شك أن فشل تحقيق هذه المعادلة يرجع إلى صعوبات التكيف مع عالم جديد، وإلى تخلى الدول الإسلامية عن هذه القضية، وإلى الصورة السلبية التى ترسخت لدى الغرب عن الإسلام وسلوك المسلمين. أعتقد أن هذا الملف بأكمله يحتاج إلى إدارة خاصة ودراسات جادة وقائمة على مسح ميدانى لنوعية المشاكل التى تواجهها الأقليات، وترشيد سياسات الهجرة، بعد أن بدأت الدول الغربية تشعر بأنها بحاجة إلى وضع سياسات سلبية تبتعد بها عن الاحتكاك بالعالم الإسلامى، فتصبح الأقلية عبئًا على مجتمعها الجديد، ودولتها الأصلية، بل وعلى العلاقات بين الدول الإسلامية والغرب.

* * *